﴿ الفقير الملوم ﴾

اذا كان لا يذم الاميّ الغبيّ لجهل القته فيه يد القدر وحكم القضاء ولا يعجب بالانسان وهبته الطبيعية عند الميلاد وفور العقل وحدة الذكاء ولا يعاب الضعيف على هزال ورثه عن الابوين ولا يفضله القوي خلق شديد الساعدين ولا يمدح الغني على مال احرزه بالغش والحرص والحرمان فلا يلام الفقير اذن على اعسار ساقته اليه صروف الحدثان لان الذي نتوهمه من ذلك حسنة لم يكن عن فضل حقيقي يستاهل الشكر والمديح ولا كان الذي نعتبره نقيصة في نظرنا عيباً حاصلاً يستحق صاحبه الذم القبيح بل من الذي لا يتمنى بين هذه الخلائق كلها ان يولد وافر الثروة عريض الجاه واسع المدارك مفتول العضد شديد الذكاء والانتباه

ألا انما يلام الفقير على ضيق ذات يد جره اليه بيده والذي كان مثرياً في امسه فاصبح مفلساً في غده ثم عاد يجر ذيول الفاقة والفقر بعد ذيول الغنى والوفر ويبسط الراحة للاستعطاء بعدما كان يبسطها للعطاء ويحيي الليل موصولا بالنهار لاكتساب مايسد الرمق على النفس وقد كان يحبيه بين اسباب السرور وملاهي الطرب والانس ويبذل ماء الوجه في التماس القوت صاغراً وقد كانت عنده الدنانير يبذلها بلا حساب في الليلة الواحدة مفاخراً دون ان يقوم اسراف تلك الحال فدى يشفع دون عار هذا الاذلال

ويلام الفقير المخلد الى الاهمال والكسل ان عمل يوماً اقام شهراً بلا

عمل وان نهض الى شغل اقعدته عنه الهمة الخائرة والعزيمة الفاترة وان طالت نفسه الى شأن قصرت عنه الحيلة الكافية والمدارك الناصرة ثم يلام على الخلال السمجة التي تزيده في اعين الملاء فوق فقره فقرا وعلى الاخلاق الفاسدة الدنيئة تضاعف كراهة الناس له وهو احوجهم به برا

والحقيقة ان من راقب احوال الناس في معاملاتهم وعلائقهم ومعايشهم بعضهم مع بعض ودرس اخلاقهم وطبائعهم وجد ان هذه المجافاة التي تصيب الفقير غالباً من ميسوري الحال وهذا الاستعلاء عليه والتجنب له لم يكن منشأوهما من نفس عيب الفقر والاحتياج بل كانا على الاغلب مما يصحبهما (لان المصائب لا تأتي فرادى) من عيوب اخرى هي مجلبة ما نراه واقعاً على الفقير من اسباب الجفاء والاعراض لاننا اذا اعتبرنا ان لا شيء ادعى لتنبيه عواطف الرحمة والاشفاق حتى في قلب العدو لعدوه مثل وقوع البلاء والمصاب كان الفقر وهو اشد البلايا وقعاً خير ما يبعث تلك العواطف الكريمة وتلك الشعائر الرقيقة في القلوب مما يكون اكبر معين على تخفيف ويلات الفقر لولا ما قدمنا من العيوب التي تصحبه والتي هي في عين الحقيقة سر ما يجر وراءه من اسباب الشقاء وابلغ برهان على صحة هذا الامر ماتلقاه من محبة الناس وانعطافهم على الفقير المهذب الاديب حتى يكون فقره مع غنى ادبه وكرم اخلاقه اجل كرامة في اعين الناس من كل غنى

ومما يؤخذ على الفقير الكبرياء فقد تلقاه غارقاً الى قاع الفقر وانفه الى السماء زاحفاً على حضيض المسكنة وهو يحاول ان يحلق في العلاء ثم يتنعل الارض حافياً ويلبس الخلخال ويتخطر تشبهاً بالغني وهو يخطر في بال فهل غاب عنه انه الفقير الضعيف المحتاج الى بر الناس فما يفيده الا

الاتضاع وانه الذليل الوضيع فما يضعه مثل محاولة الارتفاع ثم القذارة فهو يلبس الثوب فلا يخلعه حتى يبلى وقد التصق بجسمه لطول العهد ويعيش العمر فلا يباشره الماء الا يوم يولد في المهد ويوم يوضع في اللحد ان مرض راح يسير بين الناس بدمامله وقروحه كانه راى من طيب اخلاقه مايدعو الناس الى الالتفاف حوله فنفرهم عنه بشيء من خبيث ريحه بالله أيعمي الفقر القلب والبصيرة الى حد انه يسد دون الانسان مناهج الخير وسبل الرشاد وموارد الهدى وحتى لا يعود يميز بين خلق يقربه من الناس ويحببه اليهم ويستعطفهم على حاله وخلق يكون اشد بلاء عليه من بلاء الفاقة والعسر

نحن لا نلوم الفقير لانه يلبس الثياب المرقعة وانما نلومه اذا لبسها وسخة قذرة والماء مباح لديه لا يحتاج منه الا الى قليل من الهمة والارادة لغسل تلك الثياب وتحويلها من اللون القاتم المظلم الى لون ابيض نقي ومن تلك الرائحة النتنة الى رائحة طيبة . ان هذا الغني لا يأنف من مجالسة الفقير لانه بالي الاثواب ولا يتبرم منه لو زاره لان ثيابه مرقعة بل يتجهمه لان حاله تؤلم النفس والعين ولانه يخشى على نفسه من انتقال شيء اليه مما يعلق فيها من الجراثيم والاوساخ ثم ماورثها من العلل والامراض اذا سرت اليه عدواها

ونحن لا نلوم الفقير لانه يمرض وتنتابه العلل وانما نلومه على وجود الاطباء تعالجه مجاناً وهو يهمل امر علاجه ولانه بدلا من ان يستر عورات فقره يزيدها بيده ظهوراً لدى الناس

ان بين الفقر وهذه العيوب التي ذكرناها بوناً بعيداً واذا كان قيل ان الفقراء لهم الجنة فقد قيل ايضاً ان النظافة من الايمان فمن لا نظافة عنده

لا ايمان له ومن لا ايمان عنده فمحال دخوله الجنة

« حنا سركيس »

﴿ اختلاف العقول ﴾

لئن تشابه الناس كثيراً في تكوينهم وطبائعهم الغريزية وكل ما كان من الخلقة الفطرية لقد اختلفوا جداً في شؤون معايشهم واحوالهم الظاهرة وكل ماجاء من عند حالات النفس المكتسبة حتى لقد يكاد كل انسان يكون من هذا الوجه عالماً منفرداً بذاته وكوناً مستقلاً في حيزه وذلك لعظم مانجده من الاختلاف بين افراد الناس وقيام كل واحد منهم عند حد معروف . بل نحن من هذه الناحية لا يكاد الواحد منا يشبه اخاه في شيء بالاطلاق فكاننا مختلفون في نفوسنا وعقولنا كاختلافنا في وجوهنا وسحناتنا وهو شأن يوشك الانسان ان يكون منفرداً بالاختلاف فيه عن سائر انواع الموجودات الحية

فنحن قد نرى الانسانين من موطن واحد وقبيلة واحدة بل نجدهما من نفس المنزل وذات العيلة فنرى احدهما يباين الآخر في نفسه مباينة شديدة ويغايره في خلقه وحاله مغايرة كثيرة ونعاين هذا في حالة قد سرته وسرت مشاهديه وذاك في صفة قد منعت عنه سروره واحزنت من اجلها رائيه فهل كان ذلك عن قضاء لا حيلة له فنقول لا راد لقاضيه ام هو قد كان من الانسان نفسه وهو مانعجب له ونبحث فيه